

اجتهادات سلاح نووى فى القمر

أدت مأساة هيروشيما وناجازاكي 1945 إلى تنشيط الخيال العلمى فى أعمالٍ أدبية وفنية، كان القاسم المشترك بين أغلبها التحذير من خطر استخدام العلم فى الدمار والخراب. ورغم أن هوليوود استأثرت بأكثر الأفلام السينمائية التى عبرت عن هذا المعنى، فقد أنتج بعضها فى بلدانٍ عدة. وكانت السينما المصرية حاضرة فى هذا المجال فى وقتٍ مبكرٍ بفيلمٍ عُرض عام 1959، ثم طواه النسيانُ إلا قليلاً.

لم أعرف عن وجود هذا الفيلم إلا عندما فوجئتُ به قبل أيام. اعتدتُ أن أبحث عن فيلمٍ قديمٍ فى نهاية الأيام المزدحمة بالعمل، فوجدتُ فيلم «رحلة إلى القمر» للمخرج الراحل حمادة عبدالوهاب، الذى كتب له القصة والسيناريو أيضًا. كانت قصة الفيلم مبتكرة فى حينها، وتدورُ حول شخصين استطاعا الصعود إلى صاروخٍ وإطلاقه، والوصول إلى القمر، حيث تدور أحداثُ ما يعيننا فيها أن أحدهما قابل رجلاً مشوهًا صُدم عندما علم أنه أن أهل الأرض عرفوا السلاح النووى، وأشار إلى عددٍ من الرجال قريبًا منه، وقال ما معناه إنهم كانوا معه فى قيادة الجيش الذى انتصر على الأعداء باستخدام هذا السلاح، مما أدى إلى انتهاء الحياة على سطح القمر، إذ لم يبق إلا القليلُ من أهله مشوهين.

خيالُ خصبٍ أبدع رسالةً إلى من كانوا منغمسين فى تنافسٍ لتطوير أسلحةٍ نوويةٍ بالتوازي مع سباقٍ للوصول إلى الفضاء. فقد عُرض الفيلم قبل عامين من إطلاق أول رحلةٍ مأهولةٍ دارت دورة واحدة فى الفضاء حول الأرض، وقبل عشر سنوات من هبوط أول بشرى على سطح القمر.

رسالةٌ تشتدُّ الحاجةُ إلى مثلها اليوم، حيث يخلقُ شبح حربٍ نوويةٍ فى سماء العالم، خاصة أنها جاءت فى سياق عملٍ مُبدع، بعيدًا عن الوعظ والإرشاد، على نحو أظهر مهارة مخرجٍ يدلُّ فيلمه على إلمامٍ بالأعمال العالمية فى هذا المجال منذ أن صنع جورج ميليس فيلم (رحلة إلى القمر) القصير عام 1902 فى مرحلة التحول من الصور المتحركة إلى الأفلام الصامتة، وصولاً إلى الفن السينمائى الذى تطور فى العقود التالية وصار أكثر الفنون شعبية على الإطلاق.

